مركز المقاوم
للثقافة والإعلام

بورتريه .. شهيد الفداء

محمد كاظم زين الدِّين

محمد كاظم محسن علي زين الدين

يبلغ مِن العُمْر ٤٦ عاما

متزوّج ولديه من الأولاد ٤

بين الأُسرَةِ والطّفولة

نشأ الشهيد في عائلة إيمانيَّة وملتزمة دينياً، يغلب عليها المعنويَّة الزهد وبعيدة عن مظاهر الحياة الماديَّة، كانت نشأته في هذه الأجواء. عاش طفولته كأي طفل آخر يلعب مع أصدقائه إلا أنه كان مميَّزًا بشخصيَّته الهادئة والكتومة، كانَ يغلب عليه التفكّر والتأمل والهدوء منذ أيام الطفولة.

المراهقة المُنجذِبَة

خطى على طريق الفِكر والإيمان إلى أن بلَغَ المُراهقة، لازلت أستذكِر في أيامَ العُطَل المدرسيَّة كنا نقصد إلى المسجد في كلّ أوقات الفرائض، كان هو الأحرص فينا على الذّهاب مشياً حتى لو كانت هناك وسيلة نقل متوفرة، حيث كان يعتقد أن ذلك أكثر ثوابًا وأشدّ صفاءً، ويدخل في ذلك حرصه على حضور صلاة الجماعة، وهذا يعطي طابعاً على شخصيته المثقفة التي تنهل من الأحاديث المروية، كان مطلعاً ومثقفاً ويعطي رأياً في أمور عديدة.

الاختصاص الدراسي

بدأ الشـهيد في دراسـة الهندسـة، واتجه بعد ذلك إلى دراسة مجال الحاسـوب، وصولاً للعمـل في إحدى البنوك.

الصّفات التي كانتَ تميّزُه

في الجانـب الدينـي كـما أسـلفنا كان غزيـر الوعـي و الالتـزام، وكان حريصـاً عـلى الـدروس الدينية، في السـنين السـالفة كان يحـرص عـلى حضـور الـدروس الدينيَّـة في أيّـام العُطـلَ التـي يجـد فيهـا مجـالاً .. كان ملتزمًـا بإحـدى الـدروس في منطقـة جدحفـص.
كذلـك تعلقـه بمدرسـة «المأتـم» التـي سـاهمت في صناعـة شـخصيَّته ومدرسـة «الإمـام الحسـين عليـه السـلام» التـي سَـبرَ في أغوارهـا حتّـى صنعتـه مشروعًـا حسـينيًا للشـهادة. أيضًـا ارتباطه بالمناسـبات الدينية بشـكل عـام، أذكر في إحدى السـنوات أنَّـه قـد صـادف بدايـة السـنة الدراسـية نهايـة شـهر محـرم وبدايـة صفـر، وكـما هـو معـروف كان الأطفـال يلبسـون الثيـاب الجديـدة في بداية كل عام، بالنسـبة له لم يكن كذلك، كانَ يقـول لنـا لا يميـل قلبـي للبـس الجديـد في هـذا الشـهر، سـأنتظر انتهـاء صفـر لألبـس مالـديّ مِـن جديـد.

يضاف لشخصيَّة الشهيد أيضًا تميزّه بالنّباهة وحرصه على الارتقاء بكل مَن هُم حوله. عاصرته في فترة الجامعة، في إحدى الدورات أو المقررات الخاصة بالكمبيوتر وبطبيعة الاختصاص فإن بعض الجوانب تكونَ معقدة في لغات البرمجة، كان معظم الطلبة يلجأون إليه، وهو لا يبخل في مساعدتهم رغم انهماكه وكثرتهم.

عطاؤه الاجتماعيّ

إلى جانب نشاطه الدينيّ والثوريّ السياسيّ فإن الشهيد كان ناشطًا بيئيًا أيضا، وحضر العديد من المؤتمرات في داخل البحرين وخارجها، هذا النشاط بدأ منذ انتهائه من المرحلة الجامعية وإلى آخر حياته، كان نائباً لرئيس جمعية أصدقاء البيئة، وأذكر أنني قد حضرت بعض المؤتمرات التي نظمتها الجمعية حيث وجدته ناشطاً وفاعلا.

مصدر اهتمامه بهذا الجانب

سألهُ أحدهم ذات يوم عن اختياره لهذا الجانب واهتمامه فقال له بأنه نشأ في بِيئة تحافظ على النخلة والزراعة،

وهو مجالٌ تجدد فيهِ حياة الانسان ومبعثٌ لنقاء المجتمع ماديًا فأحب هذا الشيء، كان هذا الأمر ينعكس في بصماته الواضحة حتى على المأتم والموكب في توعية الناس بهذا الجانب.

ولعلّه هذا هو دين الشهداء في رؤيتهم للحياة، يعيشونَ على خلق مجتمع لايعكر صفوه التلوّث بكلّ أصنافه، فكريًا و روحيًا وماديًا ..إلى أن يصلوا للصعود بالمجتمع إلى الأفق في أقصى مراحل العطاء الذي يكون الأقرب إلى الله سبحانه وهو الشهادة.

تواصلهُ الاجتماعيّ

كان هادئًا بكلّ ما للكلمةِ مِن معنى، إلى جانب ذلك كان وصولاً، مبادراً بالسلام، ودائَماً السكينةِ في أيّ مكانٍ يدخل فيه، لا ننسى ابتسامته التي لا تفارقه ...

التفاعل مع الأنشطة الدينية

كانَ التفاعل مع الأنشطة الدينية مِن أبرز معالم شخصيته، وهُنا أستذكر منذ أيام الصغر كيف أن الاحتفالات كانَت

تقام في جامع الإمام الصادق عليه السلام بالثمانينات، كان الإعلان يصدر قبل أسبوعين تقريبًا من المناسبة، فتشاهده وكأنّه يعدّ الأيام حتى موعد المناسبة، فيكونُ أول الحاضرين، بالأخصّ عندما تكون هناك كلمة لسماحة آية الله قاسم، كان مُشدًّا إليه بشكلٍ لافتٍ منذ تلك الأيام، إذ كان يَراهُ قدوةً ومصدرَ إلهام.

الارتباط العبادي

مما كانَ مُلاحظًا في شخصيّته أنكَ مِن الطبيعيّ جدًا ألا تلتقي به في شهر رمضان! لا يشغل نَفسه هنا وهناك إلّا ببعض الزيارات المحدودة، كان يستغل شهر رمضان في العبادة والتربية الروحيَّة والأخلاقيَّة كثيرا.

مِن سمات شخصيته التي أقولُ عنها عِباديَّة أيضًا .. طاعته لوالديه، لم يكن لها حد، لم يكن يفرط في طاعتهما أبدًا، حتّى مُستوى الجلوس والحركة، لم أجده يجادلها قط، كانَ تديّنه ينعكس وقارًا وتهذّبًا معهما.

رؤيته للزواج .. واقترانه

منذ صغرنا كانت اختياراته دقيقة، ولا يحب الاختيار العشوائي، في مسألة الزواج كان ينظر إلى تأسيس أسرة فاعلة ومنتجة وفيها أفراد فاعلين ومنتجين، وكانت رغبته في اختيار زوجة ملتزمة وطموحة. كانَ يرى في الزّواج ماهوَ أبعد من الاقتران الماديّ، ومَن يتخرّج مِن مدرسة فكريَّة يكون المُعلّم فيها سماحة الشّيخ ودروسه التربوية ومحاضراته الفكريّة فلا غرابَة أن يحمل هذا الفكر العابَر .

وهذا ماحصلَ بالفعل اقترنَ روحًا وفكرًا في إطار مشروعه اللامحدود .. حتّى وجد في نفسهِ تكليفًا عليه أداؤه في منتصف الطريق .. حاملاً خيرَ حصاد الدّنيا ومُقبلاً على أعظم وسامٍ في الأخرى.

تربية الأبناء إيمانيًا وثوريًا

الكثير شاهدوا الشهيد في مختلف الحالات بميدان الفداء طوال فترة المرابطة حاملاً مَعه طفله الصغير وكيف كان يضعهُ فوق كتفهِ ويعلّمه التلبية، إحدى المقاطع الشهيرة التي انتشرت في بدايةَ الأيّام عند دار آية الله قاسم كانت للشهيد وابنه. يصطحبهم معهُ باستمرار للمحافل الإيمانيّة

والحسينيّة، لم يكن يدّعى ويدّخر فلذات أكباده لغير ماكان يؤمن به، كان إيمانه بما يرى ويعتقد إيمانيًا متجسدًا بكل سلوكه ومع كلّ مَن يحب.

الجانب الثوريّ في شخصيَّته

منذ أحداث التسعينات كان يحضر بكثافة في التظاهرات المطلبية، وتآبين الشهداء، والأمسيات الدعائيَّة، والتجمعات المطلبية، وقد استمرّ هذا الأمر إلى الفترة الأخيرة. في ٢٠١١ كان شديد الالتزام بالحضور في الفعاليات، لم يكن ينتمي إلى جهةٍ أو جمعيَّة معيَّنة، كان علمائيّ الخط، ولا يفارِق مِنبر الجمعة لسماحة الشيخ القائد، ليس هوَ وحسب، بَل هو وذويه ومَن حوله، لا أذكر أنَّه تخلف عن صلاة الجُمعة.

مرابطته وحضوره في ميدان الفداء

بطبيعة عمله الذي كان مُنهِكًا فإن كان يشكو مِن ضيق الوقت، إلا أنّه و بمجرد انتهاء العمل كان لابدّ أن يحضر في في المُرابطة التي استمرّت قرابة العام وتحديدًا في المناوبة المسائية، ويسمرّ فيها إلى وقت متأخر. كان بعض وقته في الميدان بقراءة القرآن، وأحياناً يتفكر ويتأمل بعيدًا عنّا،

أحيانًا كنا نراه بلباس العمل، كانَ يأتي مباشرَة دون الالتقاء بأسرته رُغم أنّه مِن أبناء المنطقة ذاتها ولايكونُ دخوله إلى البلدة متعسرًا كباقي المرابطين، فيكون لديه بعض الوقت. إلّا أنه بمجرد رجوعه كان يأتي إلى هنا.

أقبَلَ والدُّنيا مُدْبِرَة

في ذلك اليوم، يومَ كانَت الدُّنيا مُدبِرَة كانَ يُقبِل بشغف الرّوح ونور البصيرَة، بمجرد سماعه للنداء ترك العمل ووصل بجدارةٍ إلى داخل البلدة .. ولكن على غير العادَة لم يأت للميدانِ مباشرة، توجه إلى منزله هذه المرَّة سألهم براءة الذّمة، قبَّل رأس والدته واستسمح منها ومِن أحبائه، وتوجه إلى المَيدان.

لحظة الإصابة

كانَ مِن أولئك الذين عرفوا التشخيصَ بأوضح السُبل وأجلاها، الذين لولا تشخيصهم في تلك اللحظة لكانت الأمور قد انحرفت إلى ماكان لايدّخره أيّ طاغوت تجاه مَن يَراه مُحارِبًا لصَنميَّته. أصيبَ في الصّدر وهوَ مُقبلٌ بِردّ

عسكر السوء .. كان مُقبلا، استُهدِفَ بشكلٍ مُباشر، تم إسعافه في أحد المنازل إلّا أن حالته كانت تستدعي إمكاناتٍ طبيَّةٍ أوفر، حاول بعض الشباب إخراجه لنقله للمستشفى إلا أن قوات النِّظام رفضت ذلك، أخرجه المتحصنون بالقوَّة ليفرضوا على القوّات أمرًا واقعًا .. لعلّ المُحتضر يكسرُ قواعد التشفّي عندَ الخصم!

أغمِض عِشْقا

إلّا أن عُمق الانتقام دفع بالمرتزقة لإعادته وإلقائه حيثُ كان ليرتقي بينَ أكتاف الأوفياء لدينهم وعقيدتهم شهيدًا إلى السّماء. ليكون آخر ما اتغمض عليه عينا مُحمَّد هو مَشهد أحد الشباب الذين كانوا بجانبه وهو يحتضر يقولُ في أشدّ لحظات النزف مِن عينهِ المُصابَة: لنَذهب جميعًا وليَسْلم الشّيخ؛ عزّنا وإسلامنا.

كانَ جزءًا مِن البِناء

لَم تَكُن صُدفة .. من الواضح جداً أن هذه الشهادة كانت جزءاً من البناء الذي كان يبنيه، مِن عبادة وفِكرٍ ومن شخصيةٍ وسلوك، كان يهيء نفسه للخط المستقيمَ الأفضل، وكانَ يستحق هذه الشهادة.

«في ذلك اليوم، يومَ كانَت الدُّنيا مُدبِرَة كانَ يُقبِل بشغف الرّوح ونور البصيرَة، بمجرد سماعه للنداء ترك العمل ووصل بجدارةٍ إلى داخل البلدة .. ولكن على غير العادَة لم يأت للميدانِ مباشرة، توجه إلى منزله هذه المرَّة سألهم براءة الذّمة ، قبَّل رأس والدته واستسمح منها ومِن أحبائه، وتوجه إلى الميَدان».

«كانَ مِن أولئك الذين عرفوا التشخيصَ بأوضح السُبل وأجلاها، الذين لولا تشخيصهم في تلك اللحظة لكانت الأمور قد انحرفت إلى ماكان لايدّخره أيّ طاغوتٍ تجاه مَن يَراه مُحارِبًا لصَنميَّته».